المنشآت العمرانية والحضارية في القيروان في العصر الأمويّ تحت إطار التاريخ الحضاري للدّولة العربية وهى الدولة الأموية من عام (41هـ /132هـ)

أ. وداد محمّد إبراهيـــم ــ قسـم التاريخ ـ كلية التربيـّـة ـ جامعة الزنتان

المُقـــدّمـــة :

حقّـــق الأمويُّون العديد من الانتصارات في حركة الفتوحات الإسلامية، وقد حدثت تطـوّرات اجتماعية مُهمة ، تمثّلت في التحوّل من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والتمدن ، وبعد الهجرات المسلحة والمنظمة الواسعة التي انطلقت من شبة جزيرة العرب إلى بلاد العراق ، والشام ، ومصر ، وشمال إفريقية ، وما صاحبها من نشر الإســلام، والثقافة الإسلامية بدأت تظهر المراكز العمرانية الحضارية تعتبر مدينة القيروان من أهمها ، وقد كانت قاعدة للفتوحات الإسلامية لباقي مدن الشمال الأفريقي ، وُعدّ بناء القيروان من الأحداث التاريخية المهمة في البلاد المفتوحة

ومن هنا كانت هذه الدراسة خطوة جديدة لتتبع التطور الذى حدث في بناء هذه المدينة من النشأة والتخطيط العمراني، ومعرفة أهم المرافق التى تم تشييدها بالمدينة ،

وقد بدأت العمارة منذ القدم وذلك عندما بدأ الإنسان يستقر على وجه الأرض ، فكانت حاجة الإنسان ملحة إلى مسكن يأوي إليه وكان ذلك الدافع الحقيقي لنشأة العمارة وفنونها المختلفة ، و كان للموقع الجغرافي المتميز لأرض قيروان المتمثلة في خصوبة تربتها ، ووفرة مياهها ، وتوافّـر المواد الخام ، والثروة الحيوانية ، وللأيدي العاملة دور كبير في ازدهار حركة العمران فيها ، كما أن لموقعها المتميز الذي وفّر لها حرية الاتصال بمن جاورها من مدن ، وسنح لها الفرصة للقيام بعلاقات تجارية مزدهـــرة مع دول العالم والمناطق المجاورة بها .

أسباب اختيار البحث :

رغبة الباحثـــة في دراسة الجوانب المعمارية والحضارية للمسلمين ، وخاصة العمارة الإسلامية في مُـــدن المغرب الإسلامي ومنها مدينة القيروان ، لذلك أردتُ

إبراز الجوانب المعمارية لأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي ، والوقوف على أسباب تطورها .

مشكلة البحث :

محاولة الوقوف على أهم أسباب تطـــوّر العمارة الإسلامية في مدينة القــيروان ، ووصف معالم المدينة العامة والخاصة ، من خلال المادة العلمية المتوفرة والمتاحة

أسئلة البحث :

- ما أهم النواحي العمرانية في القيروان ؟
- ما الهدف من الكتابة في موضوعات الحضارة الإسلامية ؟
- ما أهمية المشاركة في تاريخ الحضارة الإسلامية ؟

أهداف البحث :

ركّز أغلب الباحثين في كتاباتهم على النواحي السياسية والاجتماعية وبعض النواحي الأدبية والفكرية لمدينة القيروان وأهملوا جانب العمارة فكان من أهداف البحث :

- البحث في النواحي العمرانية في القيروان ، ليعرف القارئ مكان العمارة العربية في العالم : (المساجد – الأسواق – القصور) .
- الرغبة في الكتابة موضوعات الحضارة الإسلامية الذي صار يجد إقبالاً من المهتمين بكتابة التاريخ الحضاري .
- المشاركة في تاريخ الحضارة الإسلامية منها في إثراء المكتبة الإسلامية .
- فتح أبواب جديدة للباحثين .

أهمية البحث :

تتمثل أهمية الموضوع في إبراز الجانب المعماري والحضاري للمسلمين الأوائل في مدينة القيروان، من خلال التّطرق إلى المنشآت العمرانية الدينية والمدنية في عصر الخلفاء الأمويين، وقد استطاع المسلمون في هذه الفترة أن يبنوا مدينـــة إسلامية ، فاقت كل مدنيات العالم ، وذلك بفضل امتزاج الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخـــــرى ، وكان لسياسة خلفاء بني أمية دور كبير في تشجيع حركة العمران والدفع بعجلة العلم في إفريقية .

نطاق الموضوع الزماني والمكانـــــي :

دارت أحداث البحث في الفترة ما بين (40هـ - 132هـ / 661م – 750م)، وتعتبر هذه الفترة من أخصب فترات التاريخ الإسلامي في المغرب الإسلامي عامة وفى مدينة القيروان خاصة.

الدراســـــات السابقة :

تُوجد عدة دراسات تاريخية عن النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تناولت تاريخ مدينة القـــيروان ، وتوجد بين طياتها بعض المادة العلمية عن العمارة الأموية في مدينة القـــيروان ، والتي تم الاستفادة منها في هذا البحث ، ومن الدراسات السابقة نذكر منها :

1- عبدالحميد البحرونـــى : أســـواق القيروان في العصر الوسيط ، تحدث فيه عن أهم الأسواق في القيروان ، وتناولت الدراسة مظاهر العمران في أسواق القيروان

2 ـ منيره بن عبدالرحمن الشرقي : المنشآت العمرانية في أفريقية في عصر الأغالبة وتناولت الدراسة مظاهر العمارة في ولاية افريقية في عصر الاغالبة

منهجية الدراسة :

اعتمدتُ على منهج البحث التاريخي وهو منهج التحليلي والاستقصائي الذى يعتمد على التحليل والاستنباط ، والمقارنة ، واستقراء النصوص مستخدماً في ذلك ما يمكن استخدامه من سمات البحث العلمي في صياغة البحث، وفي مصادر البيانات ، اعتمدت على المصادر المكتوبة والمراجع العربية المتعلقة بموضوع البحث ، والتي سيتم ذكرها في هوامش.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث ، وخاتمة وهي كالتالي :

المبحث الأول : الموقع الجغرافي ونشأة مدينة القيروان ، والمبحث الثاني : المنشآت العمرانية الخاصة ، والمبحث الثالث : المنشآت العمرانية العامة ، ثم الخاتمة .

مدخـــــل :

تم اتخاذ قرار تأسيس مدينة القيروان بعد مضي حوالي ثلاثين سنة منذ قدوم أول طلائع للمسلمين للمناطق الواقعة في أطراف بلاد المغرب العربي ، والتي كانت بقيادة عمرو بن العاصي ـ رضي الله عنه ـ ، حيث وصلت إلى الأجـزاء الشرقية من هذه البلاد، ثم توالت الحملات خلال هذه الفترة فكانت نتائجها وقتية حيث أرهق المسلمون

في تثبيت أقدامهم في هذه المنطقة والمحافظة على ما حققوه من مكتسبات جراء هذه الحملات، ويرجع ذلك إلى عدم وجود قاعدة ثابتة تكون مقراً دائماً لهم في بلاد المغرب العربي ، فكانوا بمجرد انتهاء مهمة الحملة يرجعون إلى الفسطاط فتخرج المناطق التي فتحوها عن سيطرتهم ، وأدرك القائد عقبة بن نافع أهمية اتخاذ قاعدة ثابتة في بلاد المغرب العربي بعد النجاحات التي حققها في حملته ، ويتّضح ذلك من قوله لأصحابه : " إن أهل هذه البلاد قوم لا خـــلاق لهم إذا عظهم السيف أسلموا ، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم ، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأياً" (1) ، وقد تمسّك عقبة بالاستراتيجية الإسلاميـــة في اختيار الموضع بحيث يكون مشابها لمواضع المدينة الإسلامية السابقة، على الرغم من الفترة الزمنية والمتغيرات التي حدثت بين تأسيس تلك المدينة وبين قرار عقبة ، وهذا يتضّح من معارضته لبعض أصحابه الذين كانوا يرغبون في نزول إلى مدينة قرطاجنة العاصمة القديمة أو مدينة سوسة الواقعتين على ساحل البحر الأبيض المتوسط (2)

وعلى الرغم من توافق الأسباب والدواعـــي لتأسيس القيروان مع المدن الإسلامية التي سبقتها ، مثل : البصرة والكوفة والفسطاط ، إلا أن هدف عقبة بن نافع من الإقامة بالقيروان لم يقتصر على إقامة معسكر يحوي المقاتلين المسلمين فحسب ؛ بل ظهرت نيته في تأسيس مدينة متكاملة منذ البداية، وهذا ما عبّر عنه عند بنائه لها بقوله : " اللهم املأها علماً وفقهاً، وأعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها عـزاً لدينك وذلاً لمن كفر بك ، وأعـزّ بها الإسلام والمسلمين، وامنعها من جبابرة الأرض"(3)، وفي هذا القول إشارة صريحة وواضحة على مدى حرص القادة المسلمين على نشر الإسلام وعلومه، وتتضح الرغبة الصادقة في التعمير والعمران .

ولم يختلف اسلوب تخطيط القيروان عن اسلوب تخطيط المدن السابقة، إلا أن مخططها تميّز منذ البداية بالانفتاح والمرونة ، وهذا الأمـــر أتاح للمدينة أن تبدأ بداية قوية في عمرانها حيث كانت منظمة بصورة حسنة ، وتـوزعت فيها المرافق والمنشآت العامة والخاصة بأسلوب مقنن، فضلاً عن ذلك كان توزيع السكان على المخطط العام بأسلوب سلس ومنظم ، حيث لم تشـــر المصادر التاريخية إلى نزاع أو خلاف وقع بين السكان في هذا الشأن كما حدث في المدن السابقة ، أما فيما يتعلق بشكل البناء فإن القيروان قد عبّرت عن تطور العمارة الإسلامية منذ البداية حيث بُنيت مرافقها ومنشآتها بأسلوب راق، ويتضح جلياً من بناء مسجدها الجامع،

والعناصر البنائية الجديدة التي لم تكن موجودة في المدن السابقة ، وتميزت معظم مبانيها بجودة البناء حيث بُنيت أغلبها بمادة الآجر المطبوخ(4)

لم يكتب للقيروان أن تشهد تطوّراً سريعاً بعد تأسيسها حيث مرت بظـروف صعبة كانت أولها عــزل مؤسسها عقبة عن ولايتها، ثم استشهاده بعد عودته إليها ، وسيطرة كسيلة البربري عليها، مما أدّى إلى نزوح معظم سكانها عنها (5) ، ثم واجهت المنطقة محْنة أخرى تمثلتْ في حركة الكاهنة التي استمرت خمس سنوات امتدت من سنة (69-74هـ / 388-396م) (6) ، ثم مــرت القيروان بفترة من الاستقرار شهدت فيها عدة إضافات وتحسينات عمرانية ، وقصدها الناس من جديد وهذه الفترة هي فترة ولاية حسان بن النعمان في الفترة من سنة (74-85هـ /693-704م) (7) ، بيد أن هذا الوضع لم يستمر فبعد عصر حسان بن النعمان شهدت المنطقة اضطرابات وفتن بسبب الخلافات التي حدثت بين السكان ، مما أدّى إلى نزوحهم عنها مرة أخرى، وعانت خلالها المدينة من الإهمال والتخريب (8)

ظلت القيروان على هذا الحال حتى سنة (87 هـ - 706م) حين ولي ولاية بلاد المغرب العربي موسى بن نصير والذي تُشير المصادر التاريخية بأنه : " تلاقى أمرها ولم شعثها " (9) ، وبعودة الحياة إليها صارت تشهد تطورات عمرانية واجتماعية سريعة وعادت بقــوّة من جديد لتمثل عاصمة بلاد المغرب العربي حيث ضمت ديوان هذه المنطقة وإليها تجبى أموالها ، وتعبيراً على ما وصلت إليه من تطور فقد وصفت بأنها : " أم الأمصار وقاعدة الأقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطراً ، وأكثرها بشراً ، وأيسرها أموالاً، وأوسعها أحوالاً ، وأتقنها بناءً ، وأنفسها هممأ ، وأربحها تجارة ، وأكثرها جباية ، وأنفسها سلعة ، وأنماها ربحا"(10) ، وفي وصف آخر يصف مراحل تطورها ورد فيه" لقد أخذ الناس في بنيان الديار والمساجد ..، فشد إليها الناس المطايا من كل مكان ، وعمّرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمطيعين والعابدين والنساك والزاهدين"(11) ، وفي هذه الأوصاف دلالة على تطور عمران المدينة واستقرارها حتى صارت وجهة لهجرة العلماء وطلاب العلم إليها .

ومع نهاية القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد أخذت القيروان تواجه عدداً من التحديات ، والاضطرابات السياسية ، والتي أسهمت بمرور الزمن في إضعاف وضعها وأهميتها، حيث تم تأسيس عدة مدن مجاورة إليها نمت وتطورت على حسابها كمدينة القصر القديم ، والعباسية ، ورقادة ، وصبرة ، التي تعرف

بالمنصورية ، والتي كانت متصلة بالقيروان فكان تأسيسها سنة (337هـ - 948م) إيذاناً بالقضاء على آخر ما تبقى للقيروان الأم من أهمية ، وهو دورها التجاري حيث تم نقل جميع الأسواق إليها [12] ، وعلى الرغم من هذه الصعاب التي لازمت مدينة القيروان إلا أنها لم تمت ، فظلت مبانيها شامخة شاهدة على تاريخها الكبير ونجاحاتها الباهرة.

المبحث الأول ـ التسمية والموقع الجغرافـــي:

أـ التســمية : اختلف اللغويون العرب حول تسمية منطقة القيروان بهذه التسمية، حيث برزت عدة آراء مختلفة تباينت في أصل ومعنى كلمة قيروان، فمن بين هذه الآراء ما أورده الـرّازي في مختار الصحاح حيث ذكر القيروان بضم الراء ، تعني : القافلة ، وهي فارسي معرب ، وقد استشهد في ذلك بالقول الشائع: " يغدو الشيطان بقيروانه إلى السوق" ، وضبطها في القاموس بفتح الراء ، وكذلك هو في الصحاح وأورد عليه الحديث، نعم نقل في اللسان عن ابن دريد القيروان بفتح الراء الجيش وبضمها القافلة [13] ، وهناك رأي آخر يرى أصحابه أن كلمة قيروان، تعني: جمعاً من الخيل، ومعظم الكتيبة أو معظم الجيش ، ويستدل مؤيدو هذا الـرأي بشـــعر لأمرئ القيس [14] ورد فيه

وغـارة ذات قـــــيروان كأن أسرابها الرعال [15] ،[16]

وعلى الرغـم من تأكيدات هذه التفسـيرات اللغوية على أن كلمة قيروان أصلها عربي إلا أن هناك من يرى بأن أصل الكلمة أعجمي معرب ، وأن أصلها يرجع إلى كلمة كاروان الفارســـية [17] ، ويقصد بها - أيضاً - القافلة، غير أن هناك من يعارض هذا المعنى ويدافع عن الأصل الفارسي للكلمة ؛ ولكن معناها يعني : مكان السلاح ومحط الجيش أو استراحة القافلة، وموضع اجتماع الناس في الحرب[18]

وهناك من يرى بأن أصل اللفظ بربري ، وهو تحريف للفظة تيكروان ، ومن بين الذين أيدوا هذا الـرأي الدكتور حسين مؤنس، حيث أرجع أصل التسمية إلى مدينة كانت موجودة بالقرب من موضع القيروان تعرف بتيكرتن ، ومن اسـم هذه المدينة اشتق اسم القيروان [19]

ومن خلال عــرض هذه الآراء مجتمعة رجحتْ الباحثة الــرأي الذي يدافع عن الأصل العربي للكلمة ، وأن معناها موضع القافلة ، ومكان الجيش والمعسكر، وقد استندت الباحثة في ترجيحها لهذا الرأي إلى أن لفظ قيروان كان شائعاً بين العرب منذ القدم ، حتى أن فطاحلة الشّــعر في الجاهلية الذين عرف عنهم انتقاؤهم لأروع الألفاظ العربية استعانوا به في شعرهم وما ورود اللفظ في شعر امرئ القيس الذي ورد مسبقاً إلا دليل على أصله العربي ، كما يدعم الباحث رأيه بما تردد في بعض المصادر التاريخية من أن اسم القيروان كان قد أطلقه أمير مصر معاوية ابن حديج (48-62هـ - 668-682م) في إحدى حملاته السابقة على إفريقية على الموضع المعروف بالقرن الذي اتخذه مقراً لمعسكره، ويتضح ذلك من نص الرواية التاريخية التي تذكر : " إن معاوية بن حديج لما غزا بنزرت قفل إلى قمونية ، وبنى بناحية القرن مساكن سماها قيروناً ، وموضع القيروان غير مسكون ولا معمور"(20) ويفهم من ذلك أن اللفظ كان يتردد على ألسن العرب قبل تأسيس مدينة القيروان ليقصد به موضع المعسكر أو الثكنة ، كما عرفت القيروان عند بعض المؤرخين بعد تأسيسها باسم مدينة إفريقية ويتضح ذلك من قول المقدسي عندما تحدث عن المسافة بينها وبين مدينة تونس حيث ذكر: وبينها (تونس) وبين مدينة إفريقية مرحلتان على البغال" (21)

الموقع الجغرافـــي :

تقع مدينة القـيروان في الجنوب التونسي على بعد (156كم) من العاصمة تونس، وعلى بعد (57كم) من مدينة سوسة ، وترتفع على سطح البحر بنحو(60 متراً) (22) ، وقد حدّد ياقوت الحموي موقعها بقوله: "والقيروان في الإقليم الثالث، طولها إحدى وثلاثون درجة وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة وهي في طرف البر"(23) ، وأما القلقشندي ذكر موقعها بقوله: "وهي مدينة في الإقليم الثالث حيث الطول ثمان وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة بنيت في صدر الإسلام بعد فتح إفريقية في جنوبي جبل شماليها وهي في الصحراء" (24) ، كذلك فقد وصف أبو الفداء موقعها وكان وصفه مشابهاً لوصف القلقشندي، ولاسيما موقعها من الجبل حيث ذكر : " وهي في جنوبي الجبل والجبل من شماليها، وهي في صحراء تصلح لجمال العرب" (25) ، ومن بين الذين حددوا ووصفوا موضع القيروان البكري الذي انفرد بتقديم وصف دقيق يساعد في تحديد الموقع بدقة، وبالتالي يضيف معلومات جديدة افتقرت إليها الأوصاف المبتورة سالفة الذكر حيث أورد في كتابه قوله : (مدينة القيروان في بساط من الأمر

مديد * في الجوف * منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية * ، وفي القبلة بحر سفاقس* وقابس * وأقربها منها البحر الشرقي (البحر الأبيض المتوسط) بينها وبينه مسيرة يوم، وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم، وشرقيها سبخة (ملح عظيم طيب نظيف)، وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة وأحسنها الجانب الغربي، وهو المعروف بفحص الدارة [26]،[27] ، هذا وقد نقل ابن عذارى نصاً يُفهم منه أن موضع القيروان يقع في المناطق الجنوبية، وأنه يبعد عن البحر مسافة كبيرة ، حيث جاء فيه وصف عقبة للموضع حين أراد اتخاذه معسكراً لقواته فذكر:" إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطنية *(يعني الروم) بغتة فيهلكها؛ ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد علم به ، وإذا كان بينها وبين البحر مالا يُوجب فيه التقصير للصلاة *فهم مرابطون" *

وتؤكد معظم الروايات التاريخية أن الموضع كان يقع في وادٍ كثير الأعشاب، متشابك الأشجار، مأوى للوحوش والحيات، حيث أورد ابن عبد الحكم إحدى هذه الروايات التي جاء فيها : "ركب عقبة والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان وادياً كثير الشجر ، كثير القطف *، تأوي إليه الوحوش والسباع والهوام" [28] وفي رواية أخرى نقلها ياقوت ورد فيها: (فجاءوا إلى موضع القيروان، وهي في طرف البر، وهي أجمة [29] عظيمة[30] لا يشقها الحيات من تشابك أشجارها" [31] ،

أما فيما يتعلق بمساحة الموضع الذي بنيت عليه المدينة فقد اختلف المؤرخون في تحديد مساحته بدقة، فبعضهم حدّدها بثلاثة آلاف وستمائة باع [32]،[33] أي : ما يعادل ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنين وخمسين متراً، في حين أن بعضهم الآخر ومن بينهم ابن عذاري قد حددوا مساحة الموضع بثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع ، أي: ما يعادل سبعة آلاف متر مربع . [34]

يتضح مما سبق أن التفاوت بين المساحتين كان كبيراً، وربما يكون مرد هذا التضارب في عدم تحديد المساحة بدقة مرده إلى الفترة الزمنية التي قيست فيها، فالمساحة الأولى قد تكون مساحة موضع القيروان عند التأسيس، والمساحة الثانية عند الانتهاء من بناء مرافق المدينة ، وهذا المرجح ولاسيما أن ابن عذاري حسم هذا الموضوع حينما علق بعد ذكره للمساحة بقوله: " حتى كمل أمرها " [35] ؛ أي : بعد الانتهاء من عملية البناء ، وهذه المساحة ؛ أي: التي ذكرها ابن عذاري هي الأقرب للحقيقة من وجهة نظر الباحث على الرغـــم من أن المقدسي قد عرض مساحة

أخـرى للموضع ، ربما يكون قد بالغ فيها ، إلا أن الباحثة وجدت نفسه مضطراً لعرضها وتحليلها على الرغم من عدم قناعتها التامة بها حيث ذكر أن مساحتها: " أقل من ثلاثة أميال في مثلها بلا سور" (36) .

تعبير المقدسي بأقل من ثلاثة أميال منطقياً يقصد بأنه أكثر من ميلين ونصف الميل، وبذلك يكون طول وعرض الموضع على أقل تقدير أربعة كيلومترات في مثلها، فإذا كان المقدسي يقصد المرحلة الأولى من تأسيس القيروان والتي على الأرجح أنها لم يقم فيها السور فهذا الرقم ولا شك غير صحيح ، أما إذا كان يقصد بها المرحلة المتأخرة والتي عاصرها (37) ، فإنه يقصد المرحلة التي أعقبت هدم السور الأول الذي بني في مرحلة متأخرة من التأسيس، فذكره للفظ (بلا سور) يعني : هذا إما الفترة الأولى من التأسيس التي سبقت بناء السور، وأما المرحلة التي أعقبت هدم السور وقبل بنائه المرة الثانية ، فمنطقياً أن بناء سور في المرحلة الأولى بهذا الطول ثم يُهدم فهذا ضرب من الخيال، ولاسيما أن الروايات التاريخية وصفته بضخامة سمكه وارتفاعه العالي، التي وللأسف لم تشـــر إلى طوله، وقدّم البكري معلومات مهمة عن هذا السور سواء في بنائه الأول أو الثاني

والراجح أن المقدسي عندما ذكر هذه المساحة كان يقصد بها مساحة القيروان في فترة متأخرة شهدت فيها المدينة توافد أعداد من السكان ، وبالتالي زحف عمرانها خارج حدود آثار سورها الذي هدم، فالمعلومة القيمة التي قدمها البكري عن طول السور في بنائه الثاني (38) كانت قريبة من المساحة التي ذكرها المقدسي، وبذلك فإن المعلومة المقتضبة التي جاء بها المقدسي غير دقيقة، وهي لا تعبر عن المراحل الأولى من تأسيس القيروان .

المبحثُ الثاني ـ المظاهر العمرانيـــــة الخاصـــــة :

أولاً- المســـــجد الجامـــــع ودار الإمـــــارة : بعد الانتهاء من عملية تنظيف المنطقة وإزالة العوائق وتمهيدها للبدء في عملية التخطيط ، بادر عقبة بن نافع بتحديد موضع النطاق الحيوي للمدينة المتمثل في المسجد الجامع ودار الإمارة، ومن الطبيعي أن يكون موضع هذا النطاق الحيوي في مركز المساحة المراد تخطيطها، كعادة العرب المسلمين في تخطيط مدنهم الجديدة كما مر ذلك مسبقاً.

وقد اختلفتْ الرّوايات التاريخية بشأن بناء المسجد الجامع ودار الإمـارة بالقيروان، حيث تذكر بعضها أن المسجد بني أولاً ثم بنيت دار الإمارة ، في حين أن هناك روايات تذكر أن بناء دار الإمارة كان أولاً .

1- المسجدُ الجامـــــع:

1- مرحلة التأسيس : تم تحديد موضع المسجد الجامع ، وتثبيت حدوده التي سيبنى عليها، وتشـير الروايات التاريخية أن موضع المسجد ظل في البداية ساحة فضاء من غير بنيان ، ويتضح ذلك من نص إحدى الروايات التي نقلها ابن عذاري حيث ورد فيها: " ثم أتى (عقبة) إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه ، ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك "[39] ، وعلى الرغم من أن معظم المؤرخـين يتناقلون هذه الرّواية ؛ ولكن للأسـف لم يتعرضوا للفترة الزمنية التي ظل عليها المسجد الجامع بهذه الحالة ؛ أي: لا يوجد فيه بنيان، و بقاء المسجد على هذه الحالة لم يستمر فترة طويلة ، وربما يرجع سبب عدم بناء عقبة للمسجد منذ نزوله إلى الخلاف الذي حصل بين أصحابه في مسألة اتجاه القبلة فهذا الأمر ولا شك كان السبب الرئيسي في ذلك، ويمكن استنتاج ذلك من نص الرواية التاريخية التي تذكر: " واختلف الناس عليه في القبلة ، وقالوا : إن أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد، فاجهد نفسك في تقويمها ، فأقاموا أياماً ينظرون إلى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ، ومشرق الشمس " [40] .

يفهم من ذلك أن عقبة فعلاً لم يكن مستعجلاً في عملية بناء المسجد حتّى يحل هذه المعضلة ، فالأمر لم يكن هيناً حتى يستعجل في ذلك ، ويفهم - أيضا- من نص الرواية أن الفترة التي استغرقها عقبة حتى تيقّن من اتجاه القبلة كانت أياماً ؛ أي: فترة قليلة لم تتعد الشهر، وأما فيما يتعلق بكيفية استرشاد عقبة لاتجاه القبلة بعد هذه الفترة، فتذكره الرواية التاريخية التالية حيث ورد فيها: " فبقي (عقبة) مهموماً فبات ليلة فسمع قائلاً يقول : في غد ادخل الجامع فإنك تسمع تكبيراً فاتبعه فأي موضع انقطع الصوت فهناك القبلة التي رضيها الله للمسلمين بهذه الأرض ، فلما أصبح سمع الصوت ووضع القبلة واقتدى بها بقية المساجد " [41] ، وفي رواية أخرى " بات مغموماً فدعا الله- عز وجل- أن يفرج عنه فأتاه آت في منامه، فقال له : إذا أصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله على عنقك ، فإنك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك فانظر

الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك ، وقد رضي الله لك هذا العسكر وهذا المسجد وهذه المدينة ، وسوف يعز الله بها دينه، ويذل بها من كفر"(42) .

على الرغم من تداول هذه الرواية في معظم المصادر التاريخية إلا أن هناك بعض الباحثين قد شككوا في صحتها، ويستند هــؤلاء في تشكيكهم هذا على ما أورده ابن عبد الحكم حينما ذكر: أن : " عقبة عندما وصل إلى موضع القيروان ركز رمحه، وقال : هذا قيروانكم " (43) ، ولهذا يعتبرون أن هذا الموقف هو الذي ركز فيه عقبة رمحه وأراد بذلك تعيين الموضع الذي ستقام عليه مدينة القيروان ، وليس تحديد اتجاه القبلة، كما دعم هؤلاء المشكّكون في هذه الرواية بما ذهب إليه الدكتور أحمد فكري، الذي ذكر : " إن قبلة مسجد القيروان الموجودة اليوم هي نفس القبلة التي حددها عقبة، وفيها شيء من الانحراف عن موضعها الصحيح ، وسبب هذا الانحراف هو قلة المعرفة بطرق تحديد الجهات في ذلك الوقت " (44) ، فضلاً عن ذلك ما ذكــره الدكتور حسين مؤنس، الذي نفى هذه الرواية، ورأى أنها أسطورة أخرى أسندت لعقبة، واعتبر أن مجرد التساؤل عن القبلة التي كان عقبة وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم قبل أن يبدأوا في بناء المسجد وتأخذهم الحيرة في تحديد اتجاه القبلة وحده كفيل ببطلان هذه الرواية (45) .

من خلال الاطلاع على معظم المصادر التاريخية التي تتداول هذه الرواية بشكل كبير، والتي نالت التأييد من معظم المؤرخين الذين نقلوها يتضح صحة هذه الرواية أو كانت الأقرب إلى الصواب رغم معارضة بعضهم لها ، وقد شكك الدكتور أحمد فكري في هذه الرواية ويرى انحراف محراب المسجد عن الاتجاه الصحيح للقبلة، في حين يرى غيره أن اتجاه قبلة المسجد لم تكن بذلك الانحراف الكبير الذي يتطلب شرعاً تغييره ، ومن خلال الدراسة الميدانية التي أجريت على مدينة القيروان والتمعن والتدقيق في مخطط المسجد الجامع ، ولاسيما حائطه القبلي حائط المحراب تؤكد معظم المصادر التاريخية إن أساساته ظلت كما هي عليه في بنائه الأول ، فقد ثبت أن هذا الحائط منحرفاً (31 درجة) نحو الجنوب، فهذه النتيجة لا تقلل من صحة الرواية التاريخية ، فالخطأ في هذه النسبة قد يكون من البنائين بحيث انحرفوا بأساسات الحائط حتى تبنى على هذا الخطأ البسيط ، الذي لا يؤثر على صحة الصلاة ، لاسيما وأن الفقهاء قد اتفقوا على أن اتجاه القبلة له جهتان شرعيتان، جهة صغرى وجهة كبرى ، فالجهة الصغرى مقدارها ربع الدائرة؛ أي: (90 درجة) والجهة الكبرى للتيسير

مقدارها (180 درجة) [46] ، ومع ذلك جعلوا اتجاه القبلة في المناطق البعيدة تقريبياً استناداً لقوله- تعالى -: ﴿**فَوَلِ وَجْهَكَ شَـــطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[47] ، وما يؤكد أن هذا الانحراف انحرافا قليلا أن المصلين إلى وقتنا الحاضر لازالوا متقيدين بالاتجاه ناحية المحراب ، ولا توجد أي خطوط منحرفة على فرش المسجد تجبر المصلين على الاصطفاف عليها، فمن غير المعقول أن يتهاون المصلين في أمر قد يبطل عليهم صلاتهم، ولاسيما أن القيروان عرفت منذ القدم بكثرة علمائها وفقهائها، وقد علل الدكتور : أحمد فكري سبب عدم تغيير أساسات حائط القبلة طيلة هذه العصور المتعاقبة إلى سببين قصد منهما ولا شك أن يكونا مبرراً لكلامه:

السبب الأول : اعتقاد الناس بقدسية محرابه كون عقبة سمع صوت من السماء يحدد له أين يضع محرابه

السبب الثانـي : إذا تغير هذا الحائط فسوف تنحرف أضلاع المسجد الأخرى ، وبالتالي يستوجب هدمه بالكامل .

إن هذه الأسباب التي ذكرها الدكتور: فكري تُعد غير منطقية، ولا يمكن أن يتلاعب المؤمنون بدينهم وصلاتهم لمجرد الاعتقاد ببركة المحراب ، ولاسيما إن كان ليس في اتجاه البيت الحرام.

أما فيما يتعلق بما ذكره الدكتور حسين مؤنس الذي ربط نفيه للرواية التاريخية بقبلة المسجد قبل بنائه ترى الباحثة أن الإجابة عن هذا التساؤل الذي اعتمد عليه الدكتور: مؤنس في نفيه لصحة الرواية تتمثل فيما يلي:

مسألة الاختلاف في تحديد قبلة مسجد القـــيروان : إن الذي جعل عقبة مهموماً وحائراً في اتجاه القبلة هو لا شك كثرة منتقديه من أصحابه في صحة الاتجاه، وربما كان هناك من يؤيده بأن اتجاهها صحيح فعندما لاحظ عقبة تفـرق أصحابه في هذا الأمر الجلل، الذي قد يجعل كل زمرة تصلي في اتجاه، كما أن بقية مساجد المغرب العربي التي ستبنى لاحقاً سوف تقتدي باتجاه قبلة هذا المسجد، لذلك أراد عقبة إزالة أي شك في هذا الأمر المهم ، ويعتقد الباحث أن اتجاه قبلة المسجد قبل بنائه لم تكن منحرفة كثيراً عن الاتجاه الذي حدده عقبة بسماعه للصوت ، ويعتمد الباحث في رأيه هذا على أن المصادر التاريخية لم تشـــر إلى أنهم ظلوا خـــلال هذه الفترة يصلون في اتجاه غير اتجاه القبلة ، وبذلك فإن كلام الدكتور: مؤنس غير مقنع ومبتور ولا يستند على حقائق وهذا الأمر يتكرر مع الدكتور : مؤنس للمرة الثانية ، فبعد نفيه

لرواية مخاطبة عقبة للحيوانات وخروجها من الموضع، ها هو يكرر ذلك ، وكأنه غير مقتنع بهذه الكرامات على الرغم من تأكيدات جل المصادر التاريخية القديمة بصحتها.

ولا شك أن لكل مؤمن كرامة ، ولاسيما إن كان عمله خالصاً لوجه الله وإعلاء كلمته فإن الله - سبحانه وتعالى - سيعينه ويفك كربه، ولنا في معركة بدر الكبرى العبرة حيث قال الله - تعالى- : ﴿ **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تشكرُونَ**﴾ (48) ، كما لنا في العبرة فتوح العراق والشام التي واجه فيها المؤمنون قــوات أعتى دولتين هما الفرس والروم، وكانت قوات المؤمنين في بعض المعارك لا يتجاوز عددها الثلاثين أو الأربعين ألفاً تواجه في قوات يفوق عددها المائتي ألف وتنتصر عليها، فلا شك أن عقبة عندما دعا الله أن يساعده في هذا الأمر لم يكن يطلب غنيمة يغنمها أو منصب سياسي يتقلده أو امرأة ينكحها ، وإنما أراد إقامة دعائم دين الله بالصورة الصحيحة، فبالتالي فإن الله - سبحانه وتعالى - استجاب له ومد له يد العون فيما يتعلق بتحديد القبلة حيث كان لعقبة بن نافع الفضل الأكبر في تحديد قبلة جامع القيروان واتخذها المسلمون من بعده قبلة لصلاتهم ولم يغيروها وكانوا يتباركون بها ولم يغيروها حتى يومنا هذا

2ـ الصـــــومعة : تعد الصومعة (المئذنة) من العناصر البنائية الجديدة التي دخلت على مساجد المدينة الإسلامية في عصر الخلافة الأموية، حيث لم تعرف مساجد البصرة والكوفة والفسطاط عند تأسيسها هذا العنصر ، ولهذا تعد صومعة مسجد القيروان مثالاً لتطور مخطط المساجد الجامعة، وتوحي بتحول جذري نحو متانة البناء، بدأت تظهر معه معالم الفن المعماري الإسلامي.

لقد شيدت صومعة مسجد القيروان كما ذكر مسبقاً في مؤخرة المسجد؛ أي: في منتصف حائط نهاية الصحن في الجهة الشمالية الغربية، فوق بئر الجنان وكانت قواعدها في وسط الماء، وقد ظلت هذه الصومعة شامخة منذ هذه المرحلة حتى يومنا هذا شاهدة على ما وصل إليه الفن المعماري الإسلامي من إبداع، فهي تعد من أضخم المآذن الإسلامية وأجملها، لما تحويه من عناصر إبداعية، فهي تتألف من ثلاثة أقسام البدن والرقبة والقبة، وشكلها مربع، تنحدر أضلاعها إلى الداخل على شكل هرمي بسيط وتتميز بضخامة قاعدتها من أسفل؛ إذ يقدر طول أضلاعها من أسفل بـ (10,20 أمتار)، أما طولها فيبلغ (32 متراً)، حيث أن طول البدن مع الرقبة يبلغ (25 متراً)

وطول القبة يبلغ (7 أمتار)، ويبلغ سمك جدار أساساتها حوالي (3.50 أمتار) ومن خلال التمعن في أضلاعها من أسفل يلاحظ أنها بنيت بأحجار ضخمة حتى ارتفاع (3.50 أمتار)، ثم يليها أحجار أقل سمكاً منها، وقد فُتحت فيها ثلاثة نوافذ في ضلعها المواجه للصحن جعلت لكي تُضيء سلم الصومعة الدائري الذي يتألف من (129 درجة)، وقد وصف البكري هذه الصومعة بقوله: " والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعاً، وعرضها خمس وعشرون ذراعاً ، ولها بابان شرقي و غربي " (49) ، وقيل: أن من قام على بنائها معماري من الشام أوفده هشام بن عبد الملك لإقامة هذه الصومعة (50)

ثانياً ــ دار الإمـارة: اتبع عقبة الأسلوب ذاته الذي صارت عليه المدينة الإسلامية الجديدة حيث اتخذ منطقة حيوية تتوسط المخطط المراد تنفيذه بضم المرافق ذات الأهمية الدينية والسياسية، فمجاورة دار الإمارة للمسجد الجامع يُعد أسلوباً انفردت به المدينة الإسلامية منذ نشأتها بحيث يكون مركز الإدارة السياسية ملازماً لمركز الحياة الدينية.

تباينت الروايات التاريخية في مسألة تحديد أيهما تم تخطيطه وبنائه أولاً المسجد الجامع أو دار الإمارة، كما مر مسبقاً عند دراسة المسجد الجامع ، ومن خلال عرض بعض هذه الروايات المتباينة يمكن الوصول إلى نتيجة قد تسهم في حل هذه الإشكالية، فمن بين هذه الروايات الرواية التي نقلها ابن عذاري والتي تذكر : " فاختط عقبة أولاً دار الإمارة ثم أتى إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه، ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك " (51) ، ويفهم من نص هذه الرواية أن بناء دار الإمارة كان أولاً، أما فيما يتعلق بالتخطيط فإنها لم تقدم الإضافة على الرغم من ذكرها إلى أن تخطيط دار الإمارة كان أولاً، ويبدو أن هناك خلط وقع في نص هذه الرواية تحديداً في مسألة التخطيط والبناء، فمن الواضح أن لفظ تخطيط الذي ورد في الرواية القصد منه البناء وليس تحديد موضع البناء، وهذا الأمر تكرر حتى في الرواية التي أوردها المالكي حينما ذكر: " وأسس (عقبة) دار الإمارة، واتخذ لها من الخمس (52) ما يتخذ الأمراء لحرس المسلمين، ثم أتى بهم إلى موضع المسجد الأعظم فاختطه " (53) ، في حين أن الدباغ أورد رواية تاريخية تعارض هذا الرأي وتؤكد أن تخطيط المسجد الجامع كان أولاً، حيث جاء فيها: " وكان أول شيء اختط منها الجامع فاختلف الناس عليه في القبلة " (54) ، و هذا ما تؤيده الباحثة .

فمن خلال التمعن في رواية ابن عذاري ورواية المالكي يتضح أمر مهم ألا وهو عدم تمييز أصحاب هاتين الروايتين بين تخطيط الموضع ؛ أي: المكان الذي سيقام عليه البناء وبين عملية البناء، ويتضح ذلك جليا في عبارة: " ولم يحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك " ، من هنا يفهم أن تعيين موضع المسجد كان منذ بداية نزول عقبة الموضع، وهذا منطقي فمن غير المعقول أن عقبة لم يحدد موضع للصلاة الجامعة المفروضة حتى أتم بناء دار الإمارة، ولهذا يرجح أن تحديد مخطط المسجد تم أولاً، إلا أنه لم يبنَ، وأن دار الإمارة تم تخطيطها بعده وبنيت قبله، ويُرجع سبب تأخر بناء المسجد إلى الاختلاف الذي حصل بخصوص تحديد اتجاه القبلة ، ويستدل في ذلك على ما ورد في الرواية التاريخية التي تتحدث عن كيفية اهتداء عقبة لاتجاه القبلة فمن بين ما جاء فيها: " فسمع قائلاً يقول: في غد أدخل الجامع فإنك تسمع تكبيرا ..." (55) وهذا يدل على أن موضع المسجد كان معلوماً ومحدداً قبل البناء.

بعد أن تم تحديد موضع المسجد الجامع تم تحديد موضع دار الإمارة، فمنطقيا سيكون موضعها قبلي المسجد أي موازية لحائط القبلة، وهذا ما أكده المالكي حينما ذكر أن عقبة :" بنى دار الإمارة في قبلي الجامع " (56) ، وبذلك يكون بناء المسجد الجامع وبناء دار الإمارة وجهاً لوجه (57) ، وكان يفصلهما طريق متفرع من الشارع الرئيسي المعروف بالسماط الذي يمر محاذيا للمسجد من الناحية الغربية (58) ، وكان بناء دار الإمارة كبقية الوحدات العمرانية الأخرى من طين وأجر مخلوط .

أما فيما يتعلق بمساحتها وتفاصيل بنائها فإنه لا تتوفر أي معلومات بخصوصها، حيث لم تشر المصادر التاريخية إلى ذلك على الرغم من الأهمية القصوى التي تمثلها دار الإمارة، فهي تُعد مركزاً للقيادة السياسية التي تسير منها شؤون الإمارة، وأهميتها عند مخططي المدينة الإسلامية تأتي بعد المسجد الجامع، إلا أن دار الإمارة بالقيروان لم تلق الاهتمام ذاته الذي لقته نظيراتها في المدينة الإسلامية السابقة من جانب المؤرخين الذين أهملوا تدوين معلومات عنها كانت ستضفي الشيء الكثير عن تأسيسها ومراحل تطورها، اما قلة المعلومات التاريخية التى كتبت عن تأسيس دارة الامارة في القيروان مقارنة بما كتب عن تأسيس دارة الإمارة في المدن الاسلامية الأخرى يرجع ذلك إلى أن معظم المؤرخين والرحالة العرب المسلمين كانوا يقطنون المشرق الإسلامي، وأن بعد المسافة قد منعتهم من تدوين أخبار القيروان بشكل عام،

وليس دار الإمارة فقط، وهذا يعتبر سببا منطقياً ، وخاصة أن المغرب الإسلامي لم يستقر بعد الفتح إلا بعد فترة طويلة .

كذلك كان لبعد المسافة بين القيروان ومركز الخلافة في المشرق عائق كبير في عدم تدوين أخبار ومعلومات عن مدينة القيروان وليس دار الإمارة فحسب ؛ ولكن هذا ليس مبررا في قلة المعلومات عن مدينة القيروان ، وخاصة أن القيروان كانت تعتبر أهم المدن التى بناها المسلمون في المغرب الإسلامي وشمال افريقيا ؛ بل هي قاعدة مهمة لانطلاق الحملات العسكرية لفتح باقي شمال افريقيا والمغرب العربي ، - أيضا - مما يدل على أهمية القيروان أنها خرج منها العلماء والأدباء والمفسرين والرحالة الذين زاروا كل أنحاء العالم ، لذلك تميزت القيروان منذ تأسيسها بالبناء الثابت والتخطيط المتين والمنظم وهو سبب يساعد أي باحث أو رحّالة أو مؤرخ للكتابة عن المؤسسات العمرانية والحضارية في مدينة القيروان .

وترى الباحثة أن هناك أسباباً ربما كانت تقف عائقاً أمام هؤلاء المؤرخين في الحصول على هذه المعلومة الغائبة، حيث يترجّح بأن التبدلات السياسية والعسكرية التي مرت بها مدينة القيروان في فترة مبكّرة من تأسيسها كانت هي السبب الحقيقي في قلة الأخبار حول دار الإمارة وبقية المرافق الأخرى ، حيث كانت بداية هذه التبدلات بعزل عقبة عن ولاية القيروان ، وتولية أبي المهاجر دينار، فقد مر مسبقاً أن عقبة ما كاد ينتهي من بناء مدينة القيروان حتى تم عزله واستبداله بأبي المهاجر دينار، وتشير الروايات التاريخية أن هذا العزل تم عن طريق والي مصر الجديد الذي أعيدت إليه تبعية ولاية إفريقية مسلمة بن مخلد (62-48هـ / 448-682م)، فتنحيته لعقبة ربما كانت لدوافع شخصية أو غيرة ، ويمكن استنتاج ذلك من خلال نص هذه الرواية التاريخية التي تتحدث عن طريقة عزله حيث ورد فيها: " ثم قدم أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري إلى إفريقية سنة خمس وخمسين ، فعزل عقبة وقيده وحبسه وخـــرب ما كان اختطه وبناه بالقيروان واختط مدينة تاكروان ، وهي بجوفي إفريقية على نحو ميلين ، وجد في بنائها وتشييدها " [59] ، ومن هنا يفهم أن سوء النية كانت مبيتة لعزل عقبة ، ولكن الباحثة لا تؤيد هذه الرواية كون أبى المهاجر خرب ما كان اختطه عقبة ؛ أي: خرب مدينة القيروان بكاملها، فلا يعقل من رجل مسلم أسهم في رفع راية الإسلام أن يقوم بتخريب مسجد الجماعة، أو يسهم في خسائر فادحة للمسلمين، ولاسيما أن عقبة ظل خمس سنين وهو يمول عملية بناء المدينة ؛ إذن فإن

أبا المهاجر على الأرجح أنه قد خرب دار الإمارة فقط التي تمثل مركز حكومة عقبة ومقر نزوله، فهذا الأمر ولا شك أسهم في اختفاء بعض معالمها ولاسيما أنها ظلت مهملة إلى أكثر من سبعة سنين حتى وإن عاد إليها عقبة بعد هذه المدة في ولايته الثانية للقيروان (62-63هـ / 682-683م) ، وإصلاحه للخراب الذي لحق بها إلا أن بقاءه في القيروان لم يدم فترة طويلة حتى خرج لفتح بلاد المغرب الأقصى، وأثناء عودته للقيروان استشهد وكان ذلك سنة (683-63م) ([60]) ، لتدخل دار الإمارة والقيروان بصفة عامة دوامة الإهمال مجدداً بعد خضوعها لقوات كسيلة ([61]) إثر قتله ومن معه من أصحابه، حيث تذكر الرواية التاريخية: " وتقدم (كسيلة) إلى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة أربع وستين (هـ)، وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير *، ولم يقم بها إلا أصحاب الذراري والأنفال ([62]) ، فأمنهم كسيلة وثبت قدمه بالقيروان، واستمر أميراً على البربر ومن بقي من العرب خمس سنين " ([63]) ، وحتى بعد ما تمكن المسلمون من قتل كسيلة وتحرير القيروان لم يكن لدار الإمارة أي دور حيث فضّل زهير بن قيس عدم البقاء بها ورجع إلى مصر ([64]) ، وفي المرحلة اللاحقة مرحلة ولاية حسان بن النعمان على إفريقية (74-85هـ / 693-704م) يبدو أن دار الإمارة ظلت مهملة ولم تلق اهتماماً من حسان كالذي لقاه المسجد الجامع ، حيث لم تشر الروايات التاريخية التي تحدثت عن أعماله في المسجد الجامع أنه قد رمم أو جدد دار الإمارة، وفي هذا المقام هناك إشارة جديرة بالاهتمام أوردتها بعض المصادر التاريخية وهي : أن حسان خلال فترة ولايته قام بتدوين الدواوين ([65]) فأهمية هذه الإشارة تتمثل في المكان الذي اتخذه حسان مقراً لهذه الدواوين ، طبيعيا بأن تكون قريبة من المسجد الجامع، وأن تكون في دار الإمارة التي بناها عقبة، ولاسيما أن الروايات التاريخية لم تشر إلى أنه قام ببناء مقرات لهذه الدواوين، ومع ذلك لم يأت على ذكر دار الإمارة.

فضلاً عن هذه التبدلات السياسية والعسكرية هناك سبب آخر أسهم في طمس دار الإمارة ألا وهو التنافس الذي كان بين الولاة الذين تعاقبوا على ولاية القيروان، فقد كان هدف معظمهم طمس سيرة من سبقه ([66])، ولاسيما مقر الإمارة، حيث حرصوا على عدم نزولها واتخاذ مقرات بديلة بنوها وجعلوها تحمل أسماءهم، فهذه الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بطمس تاريخ دار الإمارة بالقيروان.

المبحث الثالث ــ المنشآت العمرانيـــــــــة العامة:

أولاً ـ الأســـــواق : اهتم الأمويون بإنشاء الأسواق في إطار سياستهم التي وجهت إلى تعمير المدينة دفعاً للتطور الاقتصادي، وجعل هذه المدينة تعتمد على نفسها في تأمين متطلباتها، ولهذا بدأت تظهر فكرة تأسيس الأسواق المغطاة وتنوعها بحسب التخصص، كما أنهم قاموا بإنشاء المحلات على جانبي امتداد الطرق التجارية.

لقد برز قدر هذا الاهتمام مع بداية تخطيط وبناء مدينة القيروان، التي تُعد أول مدينة إسلامية تؤسس في العصر الأموي، حيث ظهر موضع السوق مبكراً، ويتضح ذلك من قول المقدسي الذي سبق ذكره عند الحديث عن موضع المسجد الجامع بأنه صار وسط الأسواق (67)

لا شك أن سعة وحسن تنظيم مخطط القيروان قد أسهم في تطور أسواقها بسرعة فاقت كل تصور فطول واتساع شارعها الرئيسي ، الذي تركزت فيه حركة الأسواق سمح بتنامي هذه الأسواق وزيادة محلاتها ، ويتضح ذلك من نص الرواية التاريخية التي تذكر: " وكان سماط سوق القيروان قبل نقله إلى المنصور (68) المتصل من القبلة إلى الجوف وطوله من باب أبي الربيع إلى الجامع ميلان غير ثلث ، ومن الجامع إلى باب تونس ثلثا ميل، وكان سطحاً متصلاً من جميع المتاجر والصناعات، وكان أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد ا الملك " (69)

وعلى ما يبدو من خلال نص الرواية أن سوق القيروان شهد تطوراً كبيراً في عصر خلافة هشام بن عبد الملك (105-125هـ / 723-743م)، بحيث أصبح ينقسم إلى عدة أسواق تخصصية كل منها متخصصة لسلعة معينة، وهذا يتضح من عبارة: " وكان سطحاً متصلاً منه جميع المتاجر والصناعات" ، فضلاً عن ذلك يتأكد من أسماء بعض الدروب وبعض أبواب المسجد الجامع التي عرفت بأسماء الأسواق التي تؤدي إليها.

ثانياً ـ الآبار والمواجـــــل : يتفـق معظم المؤرخين على أن منطقة القيروان كانت تعاني من شـــح في المياه عند تأسيسها حتى أن المقدسي عد ذلك من سلبيات الموضع، حينما عبر عن ذلك بقوله: " إلا أن ماءهم ضعيف " (70) ، وذكر الإدريسي: " ومياهها قليلة، وشرب أهلها من ماء الماجل "(71) ، كما أبو الفداء فقد ذكر: " وشرب أهلها من الآبار وليس لها ماء جار، وهي الوطأة " (72)

يتضح مما سبق أن موضع القيروان كان يفتقر لمصدر مياه دائم يوفر الماء العذب لقاطني المنطقة ، كوجود نهر أو عيون مياه عذبة، وأن الموضع كان منخفضاً،

وهذا ما عرف مسبقاً من نص الرواية التاريخية التي تحدثت عن وصول عقبة بن نافع لموضع القيروان، حيث ورد فيها ركب (عقبة) والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم، وكان وادياً كثير الشجر (73)

لقد أسهم انخفاض مستوى الموقع في إيجاد حلول جذرية لمشكلة نقص المياه، حيث أعطى هذا الانخفاض ميزة قرب المياه الجوفية للسطح، مما ساعد على حفر الآبار لاستغلال هذه المياه الجوفية ، الأمر الذي جعل أهلها يهتمون بتوفير الماء ، وبما أن الحياة مرتبطة بالماء لقوله - تعالى- : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يؤمنون**﴾ (74) بادر المسلمون منذ بداية تأسيس القيروان في حفر العديد من الآبار؛ بل أن بعضها قد حفر بالقرب من الموضع قبل تأسيسه، حيث قام القائد معاوية بن حديج أثناء غزوته إلى إفريقية، وعلى الأرجح أنها الحملة الثالثة بحفر آبار لغرض توفير الماء ويتضح ذلك من نص الرواية التاريخية التي تذكر : " نزل بمكان القيروان اليوم واحتفر بها آباراً تسمى آبار خديج إلى الآن غلب عليها اسم أبيه، وهذه الآبار خارج باب تونس منحرفة عنه إلى الشرق عند مصلى الجنائز " (75) ، ويرجع سبب حفر بن خديج لهذه الآبار ؛ لأنه كان قد أنزل قواته هذا المكان (76) ، وأما الآبار التي كانت بالموضع مع بداية التأسيس فقد ورد ذكر بعضها في الروايات التاريخية، ومن بينها: بئر أم عياض (77) حيث تُشير الدلائل على أنه البئر الواقع في الناحية الشرقية من المسجد الذي يبعد عنه بحوالي(15 متراً)، وهو المسجد يقع بينه وبين دار الإمارة (78)، وعلى ما يبدو أنه كان بجانب الطريق التي تفصل دار الإمارة عن المسجد الجامع وهو أقرب لدار الإمارة، والبئر الآخر، هو البئر الذي أشير إليه مسبقاً عند دراسة المسجد الجامع، البئر التي أقيمت عليه أساسات الصومعة، والمعروف ببئر الجنان المنسوب إلى بني فهر (79) .

فضلاً عن ذلك فإن انخفاض مستوى موضع القيروان عن المناطق المحيطة به بحيث كانت الجبال تبعد عنه مسيرة يوم شمالاً وغرباً وجنوباً، بالتالي فإن المنطقة كانت ملتقى الوديان حتى أنها عرفت بالوادي (80) هذا كله أسهم في ابتكار وسيلة أخرى تحل معضلة نقص المياه، ألا وهي بناء المواجل ، وهي عبارة عن خزانات تبنى تحت سطح الأرض تخــزن فيها مياه الأمطار والأودية، وتعد المواجل من الوحدات العمرانية التي انفردت بها مدينة القيروان عن سابقاتها من المدن الإسلامية

الجديدة ، وبهذا تم استحداث عنصراً جديداً على مخطط المدينة العربية الإسلامية في هذا العصر.

على الرغم من أن هذه الوحدة العمرانية والمتمثلة في المواجل كانت قد عرفت قبل قدوم المسلمين لبلاد المغرب، وإنصافاً للحق أن هذه الطريقة في تخزين المياه لم تكن من مخيلة مخططي المسلمين؛ وإنما أخذوها عن الرومان الذين اهتدوا إليها منذ القدم، ويتأكد ذلك من أن المسلمين عند دخولهم للمنطقة وجدوا العديد من هذه المواجل في المناطق المحيطة بموضع القيروان، ومن بينها : الماجل الذي كان موجوداً على مسافة بضعة أميال جنوبي موضع القيروان ، الذي أطلقوا عليه اسم (قصر الماء، حيث كان له مجرى مبني يجلب المياه الملتقطة من العيون التي كانت على بعد (33 كيلومتراً) غرباً بمنطقة مامس [81]،[82] .

ومع التطور السريع الذي شهدته مدينة القيروان بعد تأسيسها أصبحت الحاجة ملحة لإنشاء مواجل جديدة تسد حاجة الأعداد المتزايدة من السكان للمياه العذبة ، ولذلك أولى بعض الأمراء المسلمين الذين تعاقبوا على ولاية إفريقية خلال العصر الأموي هذا الجانب الحيوي اهتماماً خاصاً بأن قاموا ببناء العديد من المواجل لتخزن فيها مياه الأمطار والأودية الموسمية حتى تكفي لحاجة المدينة طول السنة، ولا شك أن المسلمين قد استعانوا ببنائيين محليين لخبرتهم في مثل هذا النوع من المعمار، ومن بين هذه المواجل الماجل الذي بني في عصر الوالي بشر بن صفوان (109-103هـ / 721-727م)، والذي سبق الإشارة إليه بأنه بناه في صحن المسجد الجامع، وهو المعروف بالماجل القديم [83]

فضلاً عن هذه المواجل التي خصصت للمياه العذبة على ما يبدو أنه كان بالقيروان ماجلاً خصص للماء المالح، ويمكن استنتاج ذلك من الإشارة التي قدّمها أبو الفداء حينما يذكر:" وله وادٍ في قبلة المدينة يأتي فيه ماء مالح يستعمله الناس فيما يحتاجونه"[84] ، كذلك ما ذكره الدكتور : حبيب الجنحاني في هذا الشأن حيث قال: " كان السكان يستعملون ماء وادي السراويل في قبلة المدينة فيما يحتاجون إليه من الماء في المنازل، وليس للشرب لأنه كان مالحا " [85]

لم يقتصر بناء المواجل في داخل المدينة ؛ بل بنيت مواجل أخرى بالقرب منها، وقد ذكرها صاحب كتاب الاستبصار بقوله : " وبخارج مدينة القيروان توجد مواجل الماء وهي سقايات لأهل القيروان منها ما بني في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان "[86] ،

وقد عددها البكري بخمسة عشر ماجلا، وأشار إلى أن كلها من بناء الخليفة هشام بن عبد الملك[87] ؛ أي: خلال فترة خلافته (105- 125هـ / 723-743م)، وعلى ما يبدو أن البكري لم يكن دقيقاً عندما نسب هذه المواجل جميعها لفترة خلافة هشام بن عبد الملك، والأرجـــح ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار أن بعضها بني في عصر الخليفة هشام بن عبد الملك، ويمكن أن الاستدلال على ذلك بالماجل الذي بني في مسجد الأنصار المعروف بالزيتونة قبل خلافة هشام حيث بني سنة (93هـ - 712م)، والذي بناه إسماعيل بن عبيد الأنصاري [88]، بالقرب من مدينة القيروان في الناحية الغربية ، والذي وصفه الدباغ بأنه كان مستطيلا[89]

على الرغـــم من التفاوت الذي كان بين هذه المواجل في حجمها وسعتها إلا أن التشابه في أسلوب بنائها كان بدرجة كبيرة ، فمعظمها كانت بناءً مربعاً أو مستطيلاً تحت سطح الأرض، ويكون مغطا بسقف يحتوي على فتحة أو أكثر لاستخراج الماء منه، وأغلب هذه المواجل يصاحب بنائها بناء فسقية يكون دورها استقبال الماء المتدفق من الوادي للحد من سرعته ، وتنقية الشوائب وركود الطمي بها، فإذا ارتفع منسوب الماء بها يدخل إلى الماجل[90]

ثالثاً ـ الحمامات : شهدت مدينة القيروان منذ بداية تأسيسها إقامة الحمامات ؛ وذلك لما تمثله من أهمية بالغة ، ولهذا يعد بنائها طبيعياً متزامناً مع المرافق المهمة الأخرى، وعلى الأرجح أن موضعها كان خارج الخطط السكنية ، تمشياً مع منهجية التخطيط الإسلامي في بناء المدن ، كما مر مسبقاً ، حيث كان يتم تخطيط مواضع الحمامات في أطراف المخطط العام ، وذلك لدواع صحية.

على الرغم من مشكلة نقص المياه بالموضع الذي أشار إليه معظم المؤرخين إلا أنه تم بناء العديد من الحمامات حيث يتطلب في عملها كميات كبيرة من المياه ، وهذا يوحي بأنه قد تم التغلب على هذه المشكلة ولاسيما أن البكري قد عدد حمامات القيروان بأنها ثمانية وأربعون حماماً[91] .

وللأسف لم يقدم البكري كغيره من المؤرخين أي معلومات إضافية بخصوص أسلوب بناء حمامات القيروان هل كانت نفس نظام بناء حمامات المدينة الإسلامية السابقة أم كانت تقليداً للحمامات الرومانية ؟ ولاسيما أن البنائيين على الأرجح كانوا من العناصر المحلية ، كما لم يشر هؤلاء المؤرخون إلى أسماء هذه الحمامات التي كانت تعرف بها ولا لمواضعها.

رابعاً ــ المقابـــر : لقد ساعد موضع القيروان الواسع والمنفتح عن المنطقة المحيطة به في منـــح مخطط المدينة ميزة المرونة في التخطيط ، وهذا الأمـــر أسهم في بروز المكونات المعمارية لمخطط هذه المدينة ، حيث أظهرت خاصية اتساع الموضع النظرة المستقبلية التي راعاها واضعو هذا المخطط عندما قاموا بإخراج أبرز المنشآت العامة التي تستهلك قدراً كبيراً من أراضي المخطط، ألا وهي المقابر، حيث تم تخطيطها خارج حدود المخطط العام للمدينة ، وعلى ما يبدو أن الصدفة كان لها دوراً في البداية، حتى أصبح هذا الأمر واقعاً مرسوماً ومخططاً له، وهذا ما سوف يتضح عند الحديث عن مقبرة قريش .

مقـــــبرة قُـــريش : سُميت نِسبة للقرشيين الذين دفنوا بها وهي أولى مقابر القيروان وأشهرها، وهي تقع غربي المدينة ويخرج إليها من الباب الذي عُـــرف لاحقاً بباب أسلم (92) ، ولقد أسهمت الظروف مساهمة كبيرة في تحديد هذا الموضع ليكون المقبرة الرئيسية لمدينة القيروان، وترجع الروايات التاريخية سبب اتخاذ هذا الموضع إلى قصة وفاة حفيدة الخليفة عمر بن الخطاب ، حيث ورد في إحدى هذه الروايات: " وأول من دفن بها بنية لعبد الله بن عمر بن الخطاب توفيت بقمونية عند الغزوة الثانية لإفريقية سنة 33هـ ، فرفعت إلى هذا المكان قبل تخطيط القيروان " (93) ، ووجود قبر حفيدة الخليفة عمر بالقرب من موضع القيروان هو الذي دفع مخططو القيروان لاتخاذ هذا الموضع الذي دفنت به مقبرة تبركا بها ، ويتضح من القطعة الرخامية الموجودة على قبرها أن اسمها كان زينب.

بالإضافة إلى هذه المقبرة توجد مقبرة مشهورة أخرى تعرف بالبلوية نسبة إلى : الصحابي أبو زمعة البلوي (94) ، والذي توفي بالقيروان ودفن بموضعها حتى أنها عرفت باسمه وتقع غربي المدينة (95) ، وعلى الأرجـــح أن وفاة أبو زمعة كانت في حملة معاوية بن حديج التي نزل فيها بالقرب من موضع القيروان وأسس فيها قيروانه قبل تأسيس مدينة القيروان.

ويُعد معظم المؤرخين وجود قبر الصحابي أبي زمعة من الفضائل التي حبا الله - سبحانه وتعالى- بها مدينة القيروان استناداً إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **أيما رجل من أصحابي مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة** "(96) ، والفضيلة الأخرى أن الصحابي أبا زمعة دفن ودفنت معه شعرات للرسول ، وهذه خاصية اختصت بها مدينة القـــيروان عن سائر المدن وقد نقل الدباغ رواية تاريخية تبيّن هذا

الأمر العظيم حيث ورد فيها : " لا يعلم أن شعر رسول الله- ﷺ - بموضع من المواضع إلا القيروان، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه في حجة الوداع أخذ من شعره أبو زمعة البلوي وجعله في قلنسوته ؛ فلما مات بالقيروان دفن بها معه، فهذه مزية لأهل القيروان ومنفعة جليلة لا يشاركهم فيها غيرهم من بلاد المغرب، حيث ضمت أرضهم بعض جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم "(97) ، ومع التطــور الذي شهدته مدينة القيروان باتساع رقعتها وتزايد عدد سكانها تعدّدت فيها المقابر الخاصة ذات الطابع القبلي.

الخاتمـــــــة:

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

ـ كانت هذه المدينة ثمرة من ثمرات حركة الفتوح الإسلامية ، التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري السابع الميلادي.

ـ كان اختيار مواقع هذه المدينة وفق متطلبات خاصة فرضتها طبيعة المرحلة أسست فيها هذه المدرسة .

ـ كانت توجيهات الرسول- ﷺ - نبراساً سار عليها مخططو هذه المدينة في العديد من الجوانب الخططية.

ـ وضوح الهدف الذي أنشئت من أجله هذه المدينة

ـ سار تخطيط هذه المدينة وفق ضوابط شرعية أقرها الدين الإسلامي.

ـ كان أسلوب تخطيط المدينة المستحدثة في العصر الأموي مشابهاً لأسلوب تخطيط المدينة الإسلامية التي أسست قبل هذا العصر.

ـ أن تأسيس هذه المدينة وضح معها المحاور الرئيسية التي تميز تخطيطها وتؤثر فيها بصورة أقوى من بقية العناصر التخطيطية الأخرى وهذه المحاور هي (المسجد الجامع – دار الإمارة)

ـ كانت القيروان متكاملة منذ بداية تأسيسها حيث شملت كل المرافق العمرانية والمؤسسات الخدمية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ـ اعتمد مخطط هذه المدينة على المشاركة الفعالة للسكان في المدينة حيث راعى التركيبة الاجتماعية في توزيع الخطط السكنية بالتالي كان للانتماء القبلي والجهوي دوره في تحديد الشكل الذي خططت به هذه المدينة .

ـ كان تخطيط هذه المدينة بشكل عضوي طبيعي مرن قابل للتمدد حسب حاجة السكان.
ـ تميز مخطط هذه المدينة بالبساطة والنسيج العضوي الكلاسيكي والبعد عن الأشكال الهندسية الجامدة
ـ تميزت القيروان بتنوع وتعدد مظاهرها العمرانية.
ـ كان تطور المخطط والمظاهر العمرانية بالمدينة الأولى التي سبق تأسيسها العصر الأموي كبيراً خلال هذا العصر.
ـ ظهور عناصر بنائية جديدة في مخطط المدينة المستحدثة في العصر الأموي حيث لم تكن موجودة في المدينة الإسلامية الأولى عند بداية تخطيطها.
ـ شهدت هذه المدينة خلال مراحل تطورها في العصر الأموي دخول مواد بنائية متقدمة في عملية بناء مظاهرها العمرانية.
ـ أن هذه المدينة على الرغم من اشتراكها في بعض المؤسسات العامة إلا أنها تأثرت بالأحوال المحلية التي كانت تحيط بها فتميزت كل مدينة بصفات محلية خاصة بها.
ـ كان للخلفاء والأمراء الأمويين دور بارز في التطور الكبير الذي شهدته هذه المدينة
ـ لم يكن لسكان هذه المدينة في بداية تأسيسها أي نشاط سوى الدور الحربي.
ـ لم تكن هذه المدينة في تخطيطها وبنائها منغلقة على نفسها، حيث استفادت من خبرات الشعوب الأخرى في تطوير بعض عناصرها البنائية.
ـ لم يكن تخطيط وبناء هذه المدينة مشابها لمدن الحضارات الأخرى.
ـ أن الظروف السياسية الصعبة التي مرت بها الدولة الإسلامية عقب تأسيس هذه المدينة اسهمت في تعطيل تطورها في بعض الفترات الزمنية
ـ لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاقتصادية للدولة الإسلامية.
ـ أسهمت القيروان بقسط وافر في التطور الفكري والحضاري للعرب والمسلمين.
ـ أزالت الدراسة الكثير من الغموض الذي كان يكتنف بعض جوانب موضوع المدينة الإسلامية.
ـ صححت الدراسة بعض المعلومات المغلوطة التي جاء بها بعض الباحثين ولاسيما ما يتعلق بمقاسات ومواقع بعض الوحدات العمرانية لهذه المدينة .

التوصيات :

ـ إبراز الدور الذي قامت به هذه المدينة منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر، وذلك عن طريق دراسة تاريخية متكاملة لكل مدينة على حده.
ـ تخصيص دراسة مقارنة بين هذه المدينة والمدن الإسلامية التي تلتها في التأسيس وإبراز وجه التطابق والاختلاف في تخطيطها.
ـ دعوة الباحثين المسلمين لإعداد دراسات مكثفة حول أصالة تخطيط المدينة الإسلامية حتى يتم دحض ادعاءات الباحثين الغربيين الذين اتهموا تخطيط المدينة الإسلامية بأنه تقليد لمخططات مدن الحضارات الأخرى.
ـ مراعاة حرمة المدينة الأثرية القديمة عند التخطيط للمدن الجديدة باعتبارها جزءاً من الإرث الإنساني، وعدم المساس بمحيطها الذي يعد إطاراً خاصاً بها.
ـ تأصيل القيم الحضارية الإسلامية في تخطيط المدينة في العصر الحديث، وذلك باتباع الضوابط الشرعية التي تتلائم مع هذا العصر والتي من شأنها أن تضع مخططات هذه المدينة الحلول لكافة العيوب التى تظهر في مخططات هذه المدن .
ـ المحافظة على بقايا التراث الإسلامي للمدينة ، في الوقت الحاضر وذلك بإعداد برامج لترميمها وتقديم الدعم المعنـــوي والمادّي لها، والتوعية الشاملة لجميع فئات المجتمع حول ما تمثله هذه المدينـــــة من أهمية بالغة.

الهوامـــــــــــــــش:

[1] ـ شهاب الدين ابو عبد الله الحموي ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي 2008 ، ج7 ، ص 106
[2] ـ ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق جس كولان ،وآخرون ،ط ، دار الكتب العلمية، بيروت 2009م، ج1، ص 19 784
[3] ـ الرقيق القيرواني، إسحاق إبراهيم بن القاسم الكاتب: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، ط1 ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع طرابلس ليبيا 1994م، ص 8
4المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، (ت 375هـ - 985م). احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991م.، من 525.

[5] ـ السلاوي، أحمد بن خالد الناصري: كتاب الاستقصاء الأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، وآخرون، دار الكتاب الدار البيضاء 1955م، ج1، ص 39 .
[6] ـ المصدر نفسه من 43.
[7] ـ المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد رياض النفوس، تحقيق بشر البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1994م، ج1، ص 56
[8] المصدر نفسه، ص 44
[9] المصدر نفسه، ص 44.
[10] الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحموي الحسني نزهة المشتاق في اختراق الافاق طاء مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2010م، ج1، ص 284
11المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمد، (ت بعد 453هـ - 1061م). رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1994م ، ج 1، ص 13
12البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت 487هـ -1186م) المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2002
، ج2، ص 198.
13الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت 966هـ - 1559م). مختار الصحاح، ترتيب محمد خاطر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (د.ت).ص 533
[14]ـ امرئ القيس (نحو 13-98 ق.هـ = نحو 497-545م) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ،من بني أكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق
الزركلي المصدر السابق، ط11، ج2، من 11
[15] الرعال: رعل من الرعلة والرعلة النخلة الطويلة والجمع رعال والرعال فحل من النخل معروف بالمدينة، وناقة وغلاء إذ قطعت أذنها فتركت منها قطعة معلقة والرعلة القطعة من الخيل والرعيل أيضاً قطعة من الخيل. ابن دريد المصدر السابق، ج2، ص 309
16 الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817هـ-1415م). القاموس المحيط، تحقيق مجدي فتحي السيد الدار التوفيقية، القاهرة (د.ت)، ج4، ص 294
17 ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ - 1228م). ، ج7، ص 106
[18] الخالدي،: أحمد أرشيد المدينة والآثار الإسلامية في العالم، ط1، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن 2010م من 52
19 ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ - 1228م). ، ص 154
[20] المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 30
[21] المقدسي: المصدر السابق، ص 154
[22] الخالدي: المرجع السابق من 52
[23] ياقوت المصدر السابق، ج7، ص 106
24 القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ - 1418م).صبح الأعشى في صناعة الانشاء علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 1987م. ، ج5، ص 96
25 أبو الفداء عماد الدين إسماعيل (ت 732 هـ - 1331م). تقويم البلدان، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2006م.، ص 167

* فحص الدارة: ذكر ياقوت أن أهل المغرب قالوا له: أن كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع نسميه فحصاً. ياقوت المصدر السابق، ج6، ص 415. البكري: المسالك والممالك، ج2 ، ص 197.

26- ابن عبدالحكم القرشى ، ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ، (257هـ - 870م) .فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2004م. ، ص 274-275

* أجمة: جمة عظيمة والجميم: النبت الكثير أو الناهض المنتشر وقد جمع وتجمم.

الفيروز أبادي: المصدر السابق، ج 4، ص 103

* غيضة: العظية بالفتح الأجمة وهي مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، والجمع غياض وأغياض.

الرازي: المصدر السابق، ص 486-487

[27] ياقوت : المصدر السابق، ج7، ص 106

* باع : الباع يساوي من حيث الأساس (4) أدرع شرعية فالتر هنتس المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المطري، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ،عمان 1970م، ص 82

28ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب بعز الدين (ت 630هـ - 1232م). الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1999م.، ج3، ص 63

29 ابن عذاري :المصدر السابق، ج1، ص 21

30المصدر نفسه، والصفحة نفسها

31 المقدسي: المصدر السابق من 225

32 ولد المقدسي عام (335هـ - 946-947م) ببيت المقدس وهو حفيد بناء اشتهر ببنائه لميناء عكا، وساح في أكثر بلاد الإسلام شرقاً إلى السند والهند وغرباً إلى الأندلس لف في سنة (375هـ - 698م) كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. حلاق حسان دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، طاء دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1986

33((كان للقيروان في القديم سور طوب سعنه عشر أذرع بناء محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي، سنة أربعة وأربعين ومائة، وهو أول قائد دخل إفريقية للمسودة (الدولة العباسية)... فهدم السور زيادة الله ابن إبراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومانتين لما قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبدي، فلما انهزم عن القيروان يوم الأربعاء للنصف من جمادي الأول من هذه السنة وخرج أهل القيروان إلى زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم، ثم بناء المعز ابن باديس بن منصور الصنهاجي سنة أربعة وأربعين وأربعمائة ومبلغ تكسيره اثنان وعشرون ألف ذراع)) البكري: المسالك والممالك، ج 2، ص 197

34 ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 20

35المالكي : المصدر السابق، ج1، ص 12

36 ياقوت : المصدر السابق، ج7، ص 107

37ابن عذاري : المصدر السابق، ج 1، ص 20-21

38ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ص 244

39 فكري، أحمد :مسجد القيروان ط1 ، دار العالم العربي، القاهرة 2009م، ص 22

40مؤنس: فتوح المغرب العربي، ص 144

41المؤتمر الفلكي الإسلامي الثالث (التطبيقات الفلكية في الشريعة الإسلامية) عمان، الأردن، 23-25 شعبان 1424هـ / 20-22-10 ،2003م، خانجي، جلال الدين : القبلة وتحديدها بين الفقه والفلك والهندسة،ص 9-10

42 سورة البقرة الآية 144

44سورة آل عمران، الآية 123

45 البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 195
46 بهنسي عفيف : الفن الإسلامي، ط2، دار طلاس دمشق 1998م، ص 194
47 ابن عذارى : المصدر السابق، ج1، ص 20
* الخمس في الغنيمة، وقبل الخمس مقسوماً على خمسة أسهم متساوية سهم منها كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالح المسلمين وأما بعد موته فالمنصوص عنه أن مصرفه إلى أهل الديوان أبو يعلي الحنبلي المصدر السابق، ص 154
48المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 12
49 الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان تعليق أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1968م، ج1،ص 11
50 ياقوت: المصدر السابق، ج7، ص 107
51 المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 97
52دائرة المعارف التونسية، بحث بعنوان في تاريخ أفريقية، مجمع بيت الحكمة قرطاج، تونس 1994م، ج4، ص 142
53دائرة المعارف التونسية : المرجع السابق، ج4، ص 152
54الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص 47. 17
55ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج3، ص 207
56 كسيلة: كسيلة بن لمزم أو كسيلة، أحد مشاهير وجوه صراع البربر من أجل استقلالهم، من المؤكد أن كسيلة حين قدم المولى أبو المهاجر دينار من مصر لتعويض عقبة بن نافع كان حاكماً على ولاية دائرة المعارف التونسية، المرجع السابق، ج4، ص 62
57 الأنفال: نقلت بالخطأ، والصحيح كما أوردها الرقيق القيرواني الأثقال
الرقيق القيرواني: المصدر السابق، من 44
58 السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 39
59 ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج 3، ص 208
60ابن عذاري المصدر السابق، ج 1، ص 38
61 فلما ولى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أراد تهديم محراب المسجد لئلا يكون في الجامع أثراً لغيره حتى قال له بعض البناء: أنا أدخله بين الحائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك، فاستصوب ذلك وفعله وهو على بنائه اليوم . البكري :المسالك والممالك، ج2، ص 195.
62 المقدسي: المصدر السابق، ص 225
63 المنصورة: هي مدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها إسماعيل بن عبيد الأنصاري، سنة سبعة وثلاثين وثلاثمائة (هـ) واستوطنها وسماها المنصورية البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 198.
64المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
65 المقدسي: المصدر السابق، ص 235
66 الإدريسي: المصدر السابق، ج 1، ص 284
67 ابو الفداء : المصدر السابق، ص 167
68 ابن عبد الحكم : المصدر السابق، ص 274 -275
69سورة الأنبياء الآية 30
70 الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص 141-142
71المصدر نفسه، ص 46
72بئر أم عياض :هذا البئر موجود إلى اليوم، ويعرف بيتر تكفة.
عبد الوهاب :الورقات، ج1. م 47

73 البكري : المسالك والممالك، ج2، ص 195
74 امين عبد الحكم : المصدر السابق، ص 274 275
75 مامس: تبعد عن القيروان (33 كيلومتراً) غرباً وتسمى حالياً هنشير الدويميس
دائرة المعارف التونسية: المرجع السابق، ج4، ص 144
76 المرجع نفسه، والصفحة نفسها
77 البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 195.
78ابو الفداء : المصدر السابق، ص 167
79 الجنحاني، الحبيب القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر تونس 1968م، ص 59
80 مجهول (كتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري): الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ت) ص 115
[81] البكري :المسالك والممالك، ج 2، ص 198
[82] إسماعيل بن عبيد الأنصاري: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، أبو عبد الحميد مولى بني مخزوم ولي إسماعيل لأفريقية على حربها وخراجها وصدقاتها، وسار أحسن سيرة فلم يبق في ولايته من البربر أحد إلا وأسلم. المقريزي: المقفى الكبير، ج2، ص 74
[83] الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص 28
[84]البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 199
[85] المصدر نفسه: ج2 ، ص 199
86 عبد الوهاب، حسن حسني: بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق، المطبعة التونسية، تونس 1330هـ، ص 8
[87] عبد الوهاب: بساط العقيق، ص 8
[88]أبو زمعة البلوي: أبو زمعة عبيد بن أرقم البلوي شهد بيعة الرضوان وبايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وشهد فتح مصر وغزا إفريقية مع معاوية بن خديج سنة أربع وثلاثين، ومات ودفن بها.
الدباغ المصدر السابق، ج1، ص 97-98
[89]المصدر نفسه، ص 98.
90البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله المتوفي سنة (256هـ -870) التاريخ الكبير، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت (د.ت)، ج2، ص 141
91 البكري: المسالك والممالك، ج2، ص 195.
92 ابو الفداء : المصدر السابق، ص 167
93 الجنحاني، الحبيب القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر تونس 1968م، ص 59
94 البخاري: المصدر السابق، ج2، ص 141
95 مجهول (كتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري): الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ت) ص 115
96 البكري المسالك والممالك، ج 2، ص 198
97 الدباغ: المصدر السابق، ج1، ص 98